النشاط البشري في القرآن الكريم
– دراسة لغوية–
Human Activity In the Holy Quran
-Linguistic Study-

أ. م. د. أحمد محمود محمد عيسى
A .M. Dr. Ahmed Mahmood Mohammed Essa
am٦٢٦٤٨٥١@gmail.com

المستخلص

يهدف البحث إلى إظهار النشاط البشري لدى الإنسان في القرآن الكريم عبر التحليل اللغوي بأنواعه المختلفة من كلام، وقضاء لحاجة، والحرث، والزراعة، وركز البحث على ألفاظ وتراكيب النشاط البشري التي يمنع استعمالها في سياقات متعددة لعامل ديني أو حياء او ابتذال، أو توضيح لحكم ديني، وليس المقصود بالنشاط البشري تلك الأفعال والأعمال التي يقوم بها الإنسان وتكون مخالفة للمنهج الرباني.

واقتضى البحث تقسيمه على ثلاثة محاور، تناول: الأول الكلام، وبين الثاني: قضاء الحاجة، وأوضح الثالث: الحرث والزراعة. فضلا عن مقدمةٍ وخاتمةٍ التي ذكر فيها أهم النتائج وثبتٍ للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: النشاط، الكلام، الطعام، الحرث والزراعة.

Abstract:

The research aims to show human activity in the Holy Quran in a linguistic way with its various types of speech, relieving a need, plowing and agriculture. The research focused on the words and structures of human activity in the Holy Quran that are prohibited from being used in various contexts for a religious factor, modesty, vulgarity, or to clarify a religious ruling. Human activity does not mean those actions and deeds that a person performs that are contrary to the divine approach.

The research required dividing it into three axes, the first of which dealt with speech, the second explained: relieving a need, and the third explained: plowing and agriculture. In addition to an introduction, conclusion, and a list of sources and references.

Keywords: activity, speech, food, plowing and agriculture.

المقدمة:

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وصلاة وسلاما على عبده المصطفى وعلى آله وأصحابه وأتباعه أهل الصدق والوفى وبعد:

يُعد فهم دلالة الألفاظ والتراكيب من أهم ما نحتاج إليه في فهم لغة القرآن الكريم، فلغته لغة معجزة بألفاظها وتراكيبها، إذ لا يمكن الإحاطة بها فالأسلوب القرآني استخدم ألفاظا وتراكيب دالة على النشاط البشري، فالنشاط البشري نوع من أنواع المجالات الدلالية الفرعية في القرآن الكريم ويتضمن الكلام وقضاء الحاجة والحرث والزراعة واقتضى البحث تقسيمه على ثلاثة محاور: تضمن الأول الكلام، وجلَّى الثاني: قضاء الحاجة، وبيَّن الثالث: الحرث والزراعة.

وليس المقصود بالنشاط البشري كل فعل أو عمل يقوم به الإنسان وخاصة الأفعال والأعمال المخالفة للمنهج الرباني، وإنَّما كان التركيز على النشاط الذي يمارسه الإنسان الذي عبَّر عنه القرآن الكريم بالألفاظ والتراكيب التي استعمالها في سياق معين لعوامل متعددة، منها العامل الديني والحياء والابتذال، أو توضيح حكم شرعي، وغير ذلك كما في تركيب (يأكلان الطعام) و(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه) و(قضاء الحاجة)؛ لأنها قابلة للتغير ومتنوعة بين الحقيقة والمجاز، وألفاظ يُفضل استعمالها في سياق معين لعوامل متعددة منها: (الكلام: (الغيبة، والنميمة)، والحرث، والزرع). فمثلا تركيب (حمالة الحطب) دال على النميمة التي هي نشاط بشري سلبي وكذلك تركيب (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه) دال على بشاعة الغيبة عبر تصوير فني محكم.

وكانت منهجية الدراسة استقرائية، وتحليلية لتحليل معاني الألفاظ والتراكيب الواردة في الدراسة.

واعتمد البحث على مجموعة من المعاجم اللغوية وكتب اللغة، ومجموعة من التفاسير المختلفة الاتجاهات.

المحور الأول: الكلام:

قال ابن فارس: ((الْكَافُ وَاللامُ وَالْمِيمُ أَصلانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى نُطْقٍ مُفْهِمٍ، والآخَرُ عَلَى جِرَاحٍ. فَالأَوَّلُ الْكَلامُ. تَقُولُ: كَلَّمْتُهُ أُكَلِّمُهُ تَكْلِيمًا; وَهُوَ كَلِيمِي إِذَا كَلَّمَكَ أَوْ كَلَّمْتَهُ. ثُمَّ يَتَّسِعُونَ فَيُسَمُّونَ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ الْمُفْهِمَةَ كَلِمَةً، وَالْقِصَّةَ كَلِمَةً، وَالْقَصِيدَةَ بِطُولِهَا كَلِمَةً. وَيَجْمَعُونَ الْكَلِمَةَ كَلِمَاتٍ وَكَلِمًا))[(١)].

وكان الخليل قد ذكر: أنَّ الكَلِمةُ: لغة حجازية، والكِلْمةُ: تميمية، والجميع: الكَلِمُ والكِلَمُ[(٢)]، والْكَلِمَة كذلك تقع على الْحَرْف الْوَاحِد من حُرُوف الهجاء، وَتَقَع على لَفْظَةٍ وَاحِدَة مُؤَلَّفةٍ من جماعةِ حروفٍ لَهَا مَعْنى، والقرآنُ كلاَمُ الله، وكَلِمُ الله، وكَلِمَاتُ الله، وكلمةُ اللَّهُ، وَهُوَ كَيْفَمَا تَصَرَّفَ، مَتْلُوًّا، ومَحْفُوظَاً، ومَكْتُوباً: غيرُ مَخْلُوق، ورجلٌ تِكْلاَمَةٌ يُحْسِنُ الكَلاَمَ[(٣)]، و((الكَلامُ: اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير. والكَلِمُ لا يكون

(١) مقاييس اللغة:١٣١/٥، وجمهرة اللغة:٩٨١/٢.

(٢) ينظر: العين:٣٧١/٣٣.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة:١٤٨/١٠، والمحكم والمحيط الأعظم:٥١/٧، ولسان العرب/٥٢٢/١٢.

أقلّ من ثلاث كلمات، لأنَّه جمع كَلِمَةٍ، مثل نَبِقَةٍ ونَبِقٍ))[١]. ((وَالْكَلامُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنْ أَصْوَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ لِمَعْنًى مَفْهُومٍ. وَفِي اصْطِلاحِ النُّحَاةِ هُوَ اسْمٌ لِمَا تَرَكَّبَ مِنْ مُسْنَدٍ وَمُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَلَيْسَ هُوَ عِبَارَةً عَنْ فِعْلِ الْمُتَكَلِّمِ))[٢]. والكلْم كما ذكر الراغب: التأثير المدرك بإحدى الحاسّتين، فَالْكَلامُ: مدرك بحاسّة السّمع، والْكَلْمُ: بحاسّة البصر[٣].

والكلام اصطلاحا: هو ((إظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك بنحو من إنحاء الإظهار... وفي اصطلاح النحاة: المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام وعبر عنه بأنه ما تضمن من الكلم إسنادا مفيدا مقصودا لذاته))[٤]. وقال الكفوي: ((الْكَلام الَّذِي هُوَ صفة قَائِمَة بِالنَّفسِ فَهِيَ صفة حَقِيقِيَّة كَالْعلمِ وَالْقُدْرَة والإرادة وَالْكَلام فِي الأَصْل على الصَّحِيح: هُوَ اللَّفْظ، وَهُوَ شَامِل لحرف من حُرُوف المباني أَو الْمعَانِي ولأكثر مِنْهُمَا، وَفِي عرف الْفُقَهَاء: هُوَ الْمركب من حرفين فَصَاعِدا، فالحرف الْوَاحِد لَيْسَ بِكَلام، فلا يفْسد الصَّلاة، والحرفان يفسدان وَإِن كَانَ أَحدهمَا زَائِدا))[٥]. فللكلام أهمية كبيرة في القرآن الكريم، إذ يحاسب الإنسان عل كل لفظ ينطق به، حيث قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] ((يكتب كل ما يتكلم به العبد من خير، أو شر حتى إنه ليكتب: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت))[٦]. ويرى بعض العلماء أن الملكين يكتبان كل شيء حتى الأنين في المرض؛ لأن قوله تعالى (مِنْ قَوْلٍ) نكرة في سياق النفي فتعم كل قول. ويرى بعضهم أن الملكين لا يكتبان من الأعمال إلا ما فيه ثواب أو عقاب[٧].

فعلى الإنسان أن يحافظ على كلامه؛ لأنَّ هنالك ما لا يرضاه الله من القول كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:٤٨]، أي: لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القول القبيح إلا مَنْ ظُلِمَ فقد أذن للمظلوم أن ينتصر بالدعاء على ظالمه وَكانَ اللَّهُ سَمِيعاً لدعاء المظلوم عَلِيماً بعقاب الظالم[٨]، ((وَالْمُرَادُ بِالْجَهْرِ مَا يَبْلُغُ إِلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ إِذْ لَيْسَ السِّرُّ بِالْقَوْلِ فِي نَفْسِ النَّاطِقِ مِمَّا يَنْشَأُ عَنْهُ ضُرٌّ. وَتَقْيِيدُهُ بِالْقَوْلِ لأَنَّهُ أَضْعَفُ أَنْوَاعِ الأَذَى فَيُعْلَمُ أَنَّ السُّوءَ مِنَ الْفِعْلِ أَشَدُّ تَحْرِيمًا))[٩]. والجهر بالقول: النطق به وإعلانه،

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢٠٢٣/٥.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:٥٣٩/٢.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٧٢٢.
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف:٢٨٣.
(٥) الكليات:٧٥٦.
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:٣٧٥٧/٥.
(٧) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٣٤٣/١٣.
(٨) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٤٠٧/٣، والوسيط في تفسير القرآن المجيد:١٣٤/٢.
(٩) التحرير والتنوير:٦/٦.

ونشره بين الناس، وإذاعته فيهم فهو يقابل السر والإخفاء. والقول السوء: الذي يسوء من يقال فيه ويؤذيه في شرفه، أو عرضه أو غير ذلك مما يلحق به شرا.

والمعنى: أنَّ الله (ﷻ) لا يحب لأحد من عباده أن يجهر بالأقوال السيئة أو الأفعال السيئة، إلا من وقع عليه الظلم فإنه يجوز له أن يجهر بالسوء من القول في الحدود التي تمكنه من رفع الظلم عنه دون أن يتجاوز ذلك، كأن يجهر الخصم بما ارتكبه خصمه في حقه من مآثم. وكأن يذكر المظلومُ الظالمَ بالقول السيئ في المجالس العامة والخاصة متحريا البعد عن الكذب والبهتان(١).

ويتفرع من الكلام ثلاث مجالات فرعية هي:

أ/ الغيبة:

قال ابن فارس: ((الْغَيْنُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَسَتُّرِ الشَّيْءِ عَنِ الْعُيُونِ، ثُمَّ يُقَاسُ. مِنْ ذَلِكَ الْغَيْبُ: مَا غَابَ، مِمَّا لا يَعْلَمُهُ إلا اللَّهُ. وَيُقَالُ: غَابَتِ الشَّمْسُ تَغِيبُ غَيْبَةً وَغُيُوبًا وَغَيْبًا. وَغَابَ الرَّجُلُ عَنْ بَلَدِهِ. وَأَغَابَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُغِيبَةٌ، إِذَا غَابَ بَعْلُهَا... وَالْغِيبَةُ: الْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ مِنْ هَذَا؛ لأَنَّهَا لا تُقَالُ إلا فِي غَيْبَةٍ.))(٢)، واغتاب الرجل صاحبه اغتياباً إذا وقع فيه، والاسم الغِيبةُ، وهو أن يتكلم خلف إنسانٍ مستور بما يَغُمُّه لو سمعه(٣)، والغِيبة: بالكسر أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه، أي قلت عليه ما لم يفعله. وهي كذلك ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه، وإن لم تكن فيه فهي بهتان، وإن كانت مواجهة فهي شتم(٤). ومن أحسن ما قيل فيها ذكر العيب بظهر الغيب(٥).

وقد وردت الغيبة في القرآن الكريم في موضع واحد، في تركيبين هما: (ولا يغتب بعضكم بعضا) و(يأكل لحم أخيه) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]

جاء سياق الآية الكريمة في معرض النهي عن الغيبة وَقَدْ فَسَّرَهَا الشَّارِعُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْغِيبَةُ؟ قَالَ: "**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**". قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**"(٦). الغيبة في اللغة تدل على الْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ، لأَنَّهَا لا تُقَالُ إلا فِي غَيْبَةٍ(٧)، وهي أن يقول الرجل المسلم لأخيه ما فيه من العيب،

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٣٦٥/٣.
(٢) مقاييس اللغة:٤٠٣/٤.
(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١٩٦/١، المحكم والمحيط الأعظم:٢٦/٦.
(٤) ينظر: التعريفات:١٦٣، والتوقيف على مهمات التعاريف:٢٥٤، والكليات:٦٦٩.
(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف:٢٥٤.
(٦) الجامع الصحيح سنن الترمذي:٣٢٩/٤، رقم:١٩٣٤.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة:٤٠٣/٤.

العيب، فإن كان قد قال ما ليس فيه فقد بهته[١]. ((والغيبة مشتقة من غاب يغيب وهي القول في الغائب واستعملت في المكروه ولم يبح في هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه من تجريح في الشهود وفي التعريف لمن استنصح في الخطاب))[٢]. وعن الحسن قال: إنَّ الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة والإفك والبهتان. فأما الغيبة: فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه. وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان: فأن تقول فيه ما ليس فيه[٣]. وفي قوله تعالى ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً إِشَارَةً إِلَى وُجُوبِ حِفْظِ عِرْضِ الْمُؤْمِنِ فِي غَيْبَتِهِ، والْحِكْمَةُ من تشبيه ذكر المسلم بسوء بأكل لحم الميت فيهَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عِرْضَ الإِنْسَانِ كَدَمِهِ وَلَحْمِهِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ الظَّاهِرِ، وَذَلِكَ لأَنَّ عِرْضَ الْمَرْءِ أَشْرَفُ مِنْ لَحْمِهِ، فَإِذَا لَمْ يَحْسُنْ مِنَ الْعَاقِلِ أَكْلُ لُحُومِ النَّاسِ لَمْ يَحْسُنْ مِنْهُ قَرْضُ عِرْضِهِمْ بِالطَّرِيقِ الأَوْلَى لأَنَّ ذَلِكَ آلَمُ[٤]، وسبب وسبب تشبيه الغيبة في الكتاب العزيز بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. وفي ذلك تحول دلالي إذ شبه (ﷻ) الغيبة بأكل لحم الأخ لتقريب مفهوم الغيبة إلى الأذهان. وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس[٥]، واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة؛ لأن عادة العرب العرب بذلك جارية[٦]. قال المقنع الكندي[٧]:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد نفرت من الغيبة بأبلغ أسلوب وأحكمه؛ لأنها من الكبائر والقبائح التي تؤدى إلى تمزق شمل المسلمين وتفريقهم، وإيقاد نار الكراهية في الصدور[٨].

وان قيل هناك تطابق في المعنى بين تركيب (يغتب بعضكم بعضاً) و (يأكل لحم أخيه ميتاً) في دلالتها على الغيبة: وإن كان التركيبان يدلان على شيء واحد هناك فارق بين التركيبين؛ إذ يقال : ((اغتاب الرجل اغتياباً إذا وقع فيه، وهو أن يتلكم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يغمه إذا سمعه وإن كان فيه، فإن كان صدقاً، فهو غيبة))[٩]، فهذا التركيب يتميز بذكر الرجل بسوء في غيابه، وفي تركيب (يأكل كم أخيه ميتاً) فيه تصوير لشناعة المُغتاب الذي صار كمن يأكل لحم أخيه وهو ميت، لذلك قال ابن عباس (ﷺ) ((إنما

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٩٦/٤، والوسيط في تفسير القرآن المجيد:١٥٦/٤.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:١٣٤/٥.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٣٣٥/١٦.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب:١١٠/٢٨.
(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٣٣٥/١٦.
(٦) ينظر: المصدر نفسه:٣٣٥/١٦.
(٧) شعر المقنع الكندي:١٠٤.
(٨) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٣١٧/١٣.
(٩) لسان العرب:٦٥٦/١.

ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس))[١]، والتركيب يجعلك تنفر من الغيبة؛ لأنها قبيحة من القبائح. وما يميز هذا التركيب التركيز على الحرمة والقبح وقد صُورا في صورة منفرة من الغيبة، فليس بين التركيين تطابق تام.

وفي الآية الكريمة كناية عن الغيبة في تركيب (يأكل لحم أخيه ميتا)، فثمة تحول دلالي من مجال الأكل الى مجال الكلام.

فصورة أكل لحم الميت صورة غريبة مستكرهة، تتأذى منها النفوس والغرابة في الصورة مقصودة، لنقل المعنى الذهني المستغرب، وهي ملائة له.

وتمثل الغرابة في الصورة، الغرابة في المعنى الذهني، والمبالغة في التصوير تهدف إلى التنفير من هذه العادة البشعة[٢].

ب/ النميمة:

قال ابن فارس: ((النُّونُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا إِظْهَارُ شَيْءٍ وَإِبْرَازُهُ، وَالآخَرُ لَوْنٌ مِنَ الأَلْوَانِ. فَالأَوَّلُ مَا حَكَاهُ الْفَرَّاءُ، يُقَالُ: إِبِلٌ نَمَّةٌ: لَمْ يَبْقَ فِي أَجْوَافِهَا الْمَاءُ وَالنَّمَّامُ مِنْهُ، لأَنَّهُ لا يُبْقِي الْكَلامَ فِي جَوْفِهِ. وَرَجُلٌ نَمَّامٌ.))[٣]، ونمَّ الحديث يَنُمَّهُ نَمًّا، أي: قَتَّهُ. والاسم النَميمَةُ. ورجلٌ نَمَّامٌ، أي: قَتَّاتٌ[٤]، والنَمُّ التَّوْرِيشُ، أي: الإفساد والإغراء ورَفْعُ الحديث على وجه الإشاعة والإفساد وقيل تزيين الكلام بالكذب وتحسينُه[٥]، والنمُّ كذلك إِظْهَارُ الحَدِيثِ بِالوِشَايَةِ، والنَّمِيمَةُ الوِشَايَةُ، وأصل النَّمِيمَةِ: الهَمْسُ والحَرَكَةُ الخَفِيفَةُ[٦].

ومعنى النميمة في الاصطلاح موافق لمعناها في اللغة إذ تعني: الوشاية، وأصلها الهمس. والحركة الخفيفة[٧]. و((النمام: هو الذي يتحدث مع القوم فينم عليهم، فيكشف ما يكره كشفه؛ سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو الثالث، وسواء كان الكشف بالعبارة، أو بالإشارة، أو بغيرهما))[٨].

وقد ورد تركيب ولفظ في القرآن الكريم يتعلقان بالنميمة وهما: حمالة الحطب، والنميمة، أما التركيب فجاء في وصف امرأة أبي لهب أم جميل حيث قال الله تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ

(١) الجامع لأحكام القرآن:٣٣٥/١٦.
(٢) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن:١٤.
(٣) ينظر: مقاييس اللغة:٣٥٩/٥.
(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢٠٤٥/٥.
(٥) ينظر: المنَّجد في اللغة:٣٤٣، والمحكم والمحيط الأعظم:٤٦٦/١٠، والمخصص،٢٩٥/١، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:٧١٤٠/١١، ولسان العرب:٥٩٢/١٢، والقاموس المحيط:١١٦٤.
(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٨٢٥.
(٧) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف:٣٢٠.
(٨) التعريفات:٢٤٦.

﴿ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد:٤-٥] قال مجاهد المراد بحمالة الحطب في الآية الكريمة ((يَعْنِي حَمَالَةَ النَّمِيمَةِ، تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ))[١]. وقيل سُميت بذلك؛ لأنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة، وتعير رسول الله (ﷺ) بالفقر[٢]. وسمى الله عز وجل النميمة حطباً؛ لأنه يلقي بين القوم العداوة والبغضاء[٣]، ((وحمل الحطب كناية عن النمائم؛ لأنها توقع بين الناس الشر، وتشعل بينهم النيران كالحطب الذي تذكى به النار))[٤]. وقال: بعض أهل اللغة: الحطب ها هنا جمع الحاطب وهو الجانب المذنب يعني أنّها كانت تحملهم بالنميمة على معاداته، والعلة في تشبيههم النميمة بالحطب؛ لأنَّ الحطب يوقد ويضرم كذلك النميمة، قال: أكثم بن صيفي لبنيه: إيَّاكم والنميمة فإنّها نار محرقة وأن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر[٥]، وفي حمالة الحطب وجه آخر وهو: حمل الشوك وإلقائه على طَرِيق النَّبِي (ﷺ) لتعقر رجله[٦]، ((والحَطَب في القرآن النَّميمة))[٧].

ومعنى الآية: أنَّ زوجة أبي لهب كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون: تخسيساً لحالها، وتحقيراً لها، وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها؛ وهما في بيت العزّ والشرف، وفي منصب الثروة والجدة[٨].

وفي التركيب تحول دلالي من معنى حمل الحطب إلى السَير بالنميمة بين الناس، ولابد أن يكون المراد من حمالة الحطب نقل الكلام بين الناس وليس على الحقيقة حتى لا يشعر صاحب مهنة حمل الحطب بالإهانة.

وأما النميمة فقد وردت في قوله تعالى لرسوله الكريم (ﷺ): ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم:١٠-١١] قيل المقصود بالمشاء بنميم: هو الوليد بن المغيرة المخزومي وقيل: أبو جهل. وقيل: الأسود بن عبد يغوث. وقيل: الأخنس بن شريق[٩]، والمشاء: الذي يمشي بحديث الناس بعضهم في

(١) تفسير مجاهد:٧٥٩، وينظر: تفسير عبد الرزاق:٤٧٣/٣، وتفسير التستري:٢٠٩.
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:٦٧٩/٢٤.
(٣) ينظر: بحر العلوم:٦٣٢/٣.
(٤) غريب القرآن، أبو بكر السجستاني :١٩٨، والوسيط في تفسير القرآن المجيد:٥٦٩/٤، والمفردات في غريب القرآن:٢٤٢.
(٥) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٣٢٧/١٠.
(٦) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني:٣٠٠/٢.
(٧) العين:١٧٤/٣.
(٨) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٨٢١/٤.
(٩) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٥٨٧/٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٤٧/٥.

بعض، ينقل حديث بعضهم إلى بعض[١]، على وجه السعاية والإفساد بينهم، والنميم والنميمة: السعاية[٢]، وعن حذيفة (ﷺ) أنه بلغه أن رجلا ينم الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "**لا يدخل الجنة نمام**"[٣]. وقال الشاعر[٤]:

وَمَوْلًى كَبَيْتِ النَّمْلِ لا خَيْرَ عِنْدَهُ لِمَوْلاهُ إِلا سَعْيُهُ بِنَمِيمِ

وَاستعمل القرآن الكريم لفظة الْمَشْيُ: اسْتِعَارَةٌ لِتَشْوِيهِ حَالِهِ بِأَنَّهُ يَتَجَشَّمُ الْمَشَقَّةَ لأَجْلِ النَّمِيمَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَسْمَاءَ الأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ أَشَدُّ وَقْعًا فِي تَصَوُّرِ السَّامِعِ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَعْقُولاتِ، فَذِكْرُ الْمَشْيِ بِالنَّمِيمَةِ فِيهِ تَصْوِيرٌ لِحَالِ النَّمَّامِ، أَلا تَرَى أَنَّ قَوْلَكَ: قُطِعَ رَأْسُهُ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ مِنْ قَوْلِكَ: قُتِلَ[٥]، وجاءت لفظة مشاء على صيغة المبالغة، أي: كثير المشي بنميم أي: فتان يلقي النميمة بين الناس ليفسد بينهم فينقل ما قاله الإنسان في آخر، وإذاعة سر لا يريد صاحبه إظهاره على وجه الإفساد البين مع المبالغ في ذلك[٦]. ((وقيل: النميم جمع نميمة يريدون به الجنس وأصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة، ومنه اسكت الله تعالى نامته، أي: ما ينم عليه من حركته))[٧]. والعرب تقول للمشاء بالنميمة: يَحْمِلُ الْحَطَبَ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ الشَّاعِرُ[٨]:

مِنِ الْبِيضِ لَمْ يَصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لأَمَةٍ وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ

جَعَلَهُ رَطْبًا لِيَدُلَّ عَلَى التَّدْخِينِ الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي الشَّرِّ[٩].

وكان من عادة العرب استخدام حمل الحطب للنميمة وقد وافق هذا الاستخدام في الآية الكريمة عاداتهم.

والنميمة خلق ذميم كما أنه خلق مهين، لا يتصف به ولا يقدم عليه إنسان يحترم نفسه أو يرجو لنفسه احتراما عند الآخرين. حتى أولئك الذين يفتحون آذانهم للنمام، ناقل الكلام، المشاء بالسوء بين الأوداء. حتى هؤلاء الذين يفتحون آذانهم له لا يحترمونه في قرارة نفوسهم ولا يودونه[١٠].

ومما لا شك فيه أن وقع هذه الآيات على الوليد بن المغيرة وأمثاله من الكفار، كان قاصما لظهورهم، ممزقا لكيانهم، هادما لما كانوا يتفاخرون به من أمجاد زائفة؛ لأنه ذم لهم من رب الأرض والسماء، الذي لا يقول إلا حقا وصدقا.

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:٢٣/٥٣٤.
(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٤/٥٨٦.
(٣) صحيح مسلم:١/١٠١، رقم:١٠٥.
(٤) ينظر: الحيون:٤/٢٧٥.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير:٢٩/٧٣.
(٦) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٤/٣٥٥.
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:١٥/٣١، وينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن:١٤/٢٦٠.
(٨) البيت في تهذيب اللغة:٤/٢٢٨، ولسان العرب:١/٣٢٢، وتاج العروس:٢/٢٩٢.
(٩) ينظر: البحر المحيط:١٠/٥٦٨.
(١٠) ينظر: في ظلال القرآن:٦/٣٦٦٢.

كذلك كانت هذه الآيات تسلية للرسول (ﷺ) ولأصحابه، عما أصابهم من أذى، من هؤلاء الحلافين بالباطل والزور، المشائين بين الناس بالنميمة[١]. ومشاء بنميم: نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم، والنميمة: السعاية[٢]، ومشاء صفة مبالغة تدل على كثرة الإفساد بين الناس.

وهناك تقارب دلالي بين (حمالة الحطب) و(مشاء بنميم) والفارق بينهما أنَّ مشاء بنميم يدل على كثرة النميمة بين الناس للإفساد بينهم، و(حمالة الحطب) يرتكز على ملمح الإفساد بين الناس، وتركيب خاص بشأن أم جميل امرأة أبي لهب إذ كانت تمشي بالنميمة. ((وَيُقَالُ لِلْمَشَّاءِ بِهَا: يَحْمِلُ الْحَطَبَ بَيْنَ النَّاسِ، أَيْ يُوقِدُ بَيْنَهُمُ النَّائِرَةَ وَيُورِثُ الشَّرَّ))[٣]، وكأنما هناك اشتراك لفظي بين مشاء بنميم، وحمالة الحطب. الحطب.

ج/ طلب الرعاية والنظر إلى الله تعالى:

قال ابن فارس: ((الرَّاءُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلانِ: أَحَدُهُمَا الْمُرَاقَبَةُ وَالْحِفْظُ، وَالآخَرُ الرُّجُوعُ. فَالأَوَّلُ رَعَيْتُ الشَّيْءَ، رَقَبْتُهُ; وَرَعَيْتُهُ، إِذَا لاحَظْتَهُ. وَالرَّاعِي: الْوَالِي... وَالأَصْلُ الآخَرُ: ارْعَوَى عَنِ الْقَبِيحِ، إِذَا رَجَعَ))[٤]، ورَعَى الله فلانا، إذا دَعَوْت لَهُ بالحِفْظِ. ورعيت لَهُ عهدَه وحقَّه بعده، أي: وفيته. وأرعيتُه سَمْعي، إذا أصغيت إِلَيْهِ، وراعيتُه بعيني: لاحظته[٥]، ورَاعنا سَمعك، أَي: اسْمَع منا، حَتَّى نُفَهِّمك وتفهم عَنَّا، وَالْعرب وَالْعرب تَقول: أَرْعِنا سمعَك، وراعنا سَمعك بِمَعْنى وَاحِد[٦]، وأَرْعَى إِلَيْهِ: اسْتَمَع. وأَرْعَيْت فُلاناً سَمْعي، أي: اسْتَمَعْت إِلَى مَا يقولُ وأَصْغَيْت إِلَيْهِ. وَيُقَالُ: فُلانٌ لا يُرْعِي إِلَى قَوْلِ أَحدٍ، أَي: لا يلتفِتُ إِلَى أَحد[٧]، وكان المسلمون يقولون للنّبيّ (ﷺ): أَرْعِنا سمعك، أي: اجعل إلينا سمعك. فاستغنمت اليهود ذلك، فقالوا ينحون نحو المسلمين: يا محمد راعِنا، وهو عندهم شتم، ثمّ قالوا فيما بينهم: إنّا نشتمه في وجهه وهو لا يعلم[٨]، وهي وهي كلمة كَانَت تجْرِي مجْرى الهُزْء فنهى (ﷻ) الْمُسلمُينَ أَن يَلْفِظوا بهَا بِحَضْرَة النَّبِي (ﷺ) وَذَلِكَ أَن الْيَهُود لعنهم الله كَانُوا اغتنموها فَكَانُوا يَسُبّون بهَا رَسُول الله (ﷺ) فِي نُفُوسهم، ويتستّرون من ذَلِك بِظَاهِر المراعاة مِنْهَا، فأمروا أَن يخاطبوه بالتعزير والتوقير[٩]. مشتقة من الرُّعُونة، فأرشد الله المسلمين إلى استبدالها بـ (انظرنا)[١٠]. ورد هذا التركيب في القرآن الكريم في موضعين (البقرة:١٠٤، النساء:٤٦) قال تعالى: ﴿

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٤٦/١٥.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٥٨٦/١٨.
(٣) البحر المحيط:٥٨٦/١٠.
(٤) مقاييس اللغة:٤٠٩/٢.
(٥) ينظر: جمهرة اللغة:٧٧٦/٢.
(٦) ينظر: تهذيب اللغة:١٠٣/٣.
(٧) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:٢٤٠/٢، ولسان العرب:٣٢٧/١٤.
(٨) ينظر: العين:١١٩/٢.
(٩) ينظر: تهذيب اللغة:٢٠٦/٢.
(١٠) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:١٠٥/٢، ولسان العرب:١٨٢/١٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٠٤]

الرعي في اللغة حفظ الغير لمصلحته، وكان المسلمون يقولون للرسول (ﷺ) راعنا، أي: راقبنا وتأن بنا فيما تُلقِّننا حتى نفهمه(١)، واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا (راعنا). فقال بعضهم: هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة، فنهى الله تعالى (ﷻ) المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي (ﷺ)، وقال آخرون: بل هي كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقولها، فنهاهم الله في الإسلام أن يقولوها لنبيه (ﷺ)، وقال بعضهم: بل كان ذلك كلام يهودي من اليهود بعينه، يقال له: رفاعة بن زيد. كان يكلم النبي (ﷺ) به على وجه السب له، وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه، فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبي (ﷺ) والصواب من القول في نهي الله جل ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبيه: (راعنا) كما يرى الطبري أن يقال: إنها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبيه (ﷺ)(٢). ((وَمَنْ زَعَمَ أَنْ رَاعِنَا لُغَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالأَنْصَارِ، فَلَيْسَ قَوْلُهُ بِشَيْءٍ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مَحْفُوظٌ فِي جَمِيعِ لُغَةِ الْعَرَبِ))(٣)، وذهب السمرقندي إلى أنَّ المسلمين كانوا يأتون رسول الله (ﷺ) ويقولون: يا رسول الله راعنا، وهو بلغة العرب: أرعني سمعك. وأصله في اللغة: راعيت الرجل إذا تأملته وتعرفت أحواله. وكان هذا اللفظ بلغة اليهود سباً بالرعونة، فلما سمعت اليهود ذلك من المسلمين، أعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم: كنا نسب محمد سراً فالآن نسبه علانية، فكانوا يأتونه ويقولون له: راعنا يا محمد، ويريدون به السب. وقال بعضهم: كان في لغتهم معناه اسمع لا سمعت(٤)، ولفظة راعنا في العربية تحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: صيغة الأمر من راعى يراعي، وهو قول الجمهور، وتقول العرب: راعي سمعك وأرعي سمعك، أي: استمع مني، والثاني: وهو غريب: أنه من الرعونة، وهي الاضطراب، والأصل فيه راعناً بالتنوين، والثالث: وهو عجيب: أن أصله راعينا، فحذف الياء، أي: يا راعيَ إبلنا، وكان المسلمون يقولونها للنبي (ﷺ) على المعنى الأول، فسمعت اليهود ذلك، فجعلوا يقولونها للنبي (ﷺ) على المعنى الثاني أو الثالث. وقيل: بل كان سبًّا قبيحاً بلغتهم. قال القفال: كانت اليهود تقول راعونا، يوهمون التعظيم، وهو فاعولاً من الرعونة، فنهى الله المؤمنين عن التلفظ بهذه اللفظة، كيلا تجد اليهود إلى ذلك سبيلاً، وقيل: إنما نهى المسلمين؛ لأنها تنبئ عن المساواة على أصل باب المفاعلة، وهم مأمورون بأن يخاطبوا النبي (ﷺ)، بما يدل على التعظيم(٥).

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٩٨/١، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم:٢٣٦/١.
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:٤٥٩/٢-٤٦٣.
(٣) البحر المحيط:٥٤٣/١.
(٤) ينظر: بحر العلوم:٨٠/١، والكشف والبيان عن تفسير القرآن:٢٥١/١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز:١٢٣.
(٥) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل:١٦٦/١.

((فالآية الكريمة تنبيه وإرشاد إلى الأدب الجميل، وهو أن يتجنب الإنسان في مخاطباته الألفاظ التي توهم جفاء أو تنقيصا في مقام يقتضي إظهار مودة أو تعظيم))[1].

ومنه قوله تعالى:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٤٦]

وكل ما قيل في آية البقرة هو نفسه قيل في آية النساء أن هذا كان سبا بلغتهم، ومعنى ليا بألسنتهم أي: قلبا للكلام بها، وهو أنهم كانوا يحرفون راعنا عن طريق المراعاة إلى السب بالرعونة[2]. وَرَاعِنا لَفْظ استعمله اليهود يريدون بظَاهِرُهُ طَلَبُ الْمُرَاعَاةِ، أَيِ: الرِّفْقِ، وَالْمُرَاعَاةُ مُفَاعَلَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي الْمُبَالَغَةِ فِي الرَّعْيِ عَلَى وَجْهِ الْكِنَايَةِ الشَّائِعَةِ الَّتِي سَاوَتِ الأَصْلَ، ذَلِكَ لأَنَّ الرَّعْيَ مِنْ لَوَازِمِهِ الرِّفْقُ بِالْمَرْعِيِّ، وَطَلَبُ الْخِصْبِ لَهُ، وَدَفْعُ الْعَادِيَةِ عَنْهُ. وَهُمْ يُرِيدُونَ بِراعِنا كَلِمَةً فِي الْعِبْرَانِيَّةِ تَدُلُّ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الرُّعُونَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا كَلِمَةُ رَاعُونَا وَأَنَّ مَعْنَاهَا الرُّعُونَةُ فَلَعَلَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ بِهَا، يُوهِمُونَ أَنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ النَّبِي (ﷺ) بِضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ نَهَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي ذَلِكَ اغْتِرَارًا[3].

(وانظرنا) في الآية الكريمة: انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا وهذا أعدل وأصوب في القول[4]، وتركيب (انظرنا) دال على معنى لا احتمال فيه على عكس تركيب (راعنا) الذي فيه أكثر من احتمال[5]، ((وفيه من من الأدب والفائدة وحسن العاقبة))[6].

وإذا كان الرعي حفظ الغير لمصلحته ومن لوازمه الرفق بالمرعي أو كأنَّ راعنا تنبئ عن المساوات من باب المفاعلة، كل هذا لا يجوز في حق الرسول (ﷺ)، فهو ينقل الرسالة كما نزلت دون تغيير ويأتمر بأمر الله ولا يأتمر بأمر أحد ولا يتبع هواه فمراعاته (ﷺ) نابعة من الوحي الإلهي وليست ذاتية، فلا يحق لأحد الطلب منه المراعاة؛ لأنه (ﷺ) يطبق الشرع الإلهي بكل تفاصيله.

ويمكن القول أنَّ هناك اشتراك لفظي في (راعنا) إذا كان معناه ارعنا سمعك، أي: اسمع منا نسمع منك، وذلك للجدال والاستهزاء والمسبة وربما يكون من الرعونة بمعنى الجهل، أو يدل على الحمق؛ لأنَّ الأصل

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم:٢٣٧/١.
(٢) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد:٢ /٦١، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٥٠٧/١.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير:٧٦/٥.
(٤) ينظر: جامع البيان: ٤٣٦/٨، ومفاتيح الغيب:٩٤/١٠، والجامع لأحكام القرآن:٦٠/٢، والبحر المحيط:٢٧٥/٣، وتفسير المنار:١١٦/٥.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير:٧٧/٥
(٦) تفسير المنار:١١٦/٥.

فيه من اللغة العبرية أو السريانية الحمق[١]، والاقتراض من اللغات الأخرى سبب من أسباب المشترك اللفظي، وكذلك ثمة اشتراك لفظي بين (انظرنا) الذي يدل على راقبنا أو أقبل علينا أو انتظرنا وتأنَّ بنا أو تفكر وتدبَّر فيما يصلح لنا أو افهمنا[٢].

المحور الثاني: قضاء الحاجة:

لم يذكر ابن فارس لجذر هذا التركيب وذكره الجوهري بقوله: ((الخُرْءُ بالضم: العَذِرَةُ، والجمع: خروء... وقد خرئ خراءة، مثل كره كراهة))[٣]، ((والْخِرَاءَةُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ: التَّخَلي والقُعود للحَاجة))[٤]، يقال: أَسْوَأَ الرجلَ وخَرِئَ: إذا أَحْدَثَ، خِراءَةً وخُراءاً. والجمع خُرْءُ وخُرْءانُ، ويُقالُ: طافَ يطوفُ طَوْفاً، ويَبِسَ طَوْفُهُ فِي بطنِهِ. ويُقالُ: عَسِرَ عَلَيْهِ خُروجُ طَوْفِهِ، وذَهَبَ فلانٌ يَضْرِبُ الغائِطَ، كأَنَّهُ كِنايةٌ عَنهُ. وَقَالُوا أَيْضا: لي إِلَى الأَرْضِ حاجَةٌ[٥]، ((فكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة، طلب النجوة من الأرض، ليستتر بها))[٦]، وخرِئ الإنسانُ، الإنسانُ، أي: تغوّط، والمراد به طرح جهازُه الهضميُّ فضلات طعامِه[٧]، وقد ورد تعبيران في القرآن الكريم يدلان على قضاء الحاجة هما:

أ/- يأكلان الطعام:

قال ابن فارس: ((الْهَمْزَةُ وَالْكَافُ وَاللامُ بَابٌ تَكْثُرُ فُرُوعُهُ، وَالأَصْلُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمَعْنَاهَا التَّنَقُّصُ))[٨]، ورجل ورجل أكول، أي: كثير الأكل، وامرأة أكول. والمأَكَلْ كالمطعم والمشرب. والمُؤْكِلُ: المطعم[٩]، ((والأُكْلُ: الطُّعْمَةُ: يُقَال: جَعَلْتُه لَهُ أُكْلاً، أَي: طُعْمَةً))[١٠]. والأَكْلَةُ بالفتح: المرّة الواحدة يقال أكل حتّى شبع. والأُكلة بالضم اللقمة. تقول: أكلت أُكْلَةً واحدة، أي: لقمةً[١١]، والأَكْل: تناول المطعم، وعلى طريق التشبيه قيل: أكلت النار الحطب، والأُكل لما يؤكل، بضم الكاف وسكونه، وفلان استوفى أكله، أي: كناية عن انقضاء الأجل، وأَكَلَ فلانٌ فلاناً: اغتابه، وكذا: أكل لحمه[١٢].

---

(١) ينظر: الكشاف:٢٠٠/١، تفسير المنار:٢٨٣/٣.
(٢) ينظر: جامع البيان:٤٣٦/١، ومفاتيح الغيب:٩٤/١٠، والبحر المحيط:٢٧٥/٣.
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٤٧/١، والمحكم والمحيط الأعظم:٢٤٣/٥.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر:١٧/٢.
(٥) ينظر: الفرق، قطرب:٨١-٨٢، والفرق، ثابت بن أبي ثابت:٣٥.
(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس:٤٢/١.
(٧) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة:٦٢٣/١.
(٨) مقاييس اللغة:١٢٢/١.
(٩) ينظر: العين:٤٠٩/٥.
(١٠) تهذيب اللغة:٢٠١/١٠.
(١١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١٦٢٤/٤.
(١٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٨٠.

جاء هذا التركيب في حق عيسى وأمه مريم (عليهما السلام)، إذ قال الله تعالى:﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة:٧٥]

المراد بـ تركيب (كانا يأكلان الطعام) المسيح وأمه (عليهما السلام) كانا يأكلان ويشربان ومن أكل وشرب تكون حياته بالحيلة، والرب لا يأكل ولا يشرب و(كانا يأكلان الطعام) كناية عن قضاء الحاجة؛ لأنَّ الذي يأكل الطعام فله قضاء الحاجة ومن كان هكذا لا يصلح أن يكون ربا[١]، وهذا التركيب عبارة عن الحدث ومن أكل وأحدث لا يستحق أن يكون إلها[٢]، فهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الآدميين، فكيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟ قال ابن عباس (ﷺ): يريد: **(هما لحم ودم يأكلان ويشربان ويبولان ويتغوطان)**[٣]. وقال ابن قتيبة: هذا ألطف ما يكون من الكناية؛ لأنه عبر عن الحدث بالطعام، وذلك أن من من أكل الطعام فلا بد له من أن يحدث، فلما ذكر أكل الطعام صار كأنه أخبر عن عاقبته، والطعام والحدث ليسا من أوصاف الآلهة[٤]. وفي تركيب (كانا يأكلان الطعام) تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج إلى الغذاء تنتفي معها الألوهية[٥]، ودليل بَشَرِيَّة عيسى ومريم (عليهما السلام) بِإِثْبَاتِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ، وَهِيَ أَكْلُ الطَّعَامِ. وَإِنَّمَا اخْتِيرَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ مِنْ بَيْنِ صِفَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لأَنَّهَا ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ لِلنَّاسِ، وَلأَنَّهَا أَثْبَتَتْهَا الأَنَاجِيلُ فَقَدْ أَثْبَتَتْ أَنَّ مَرْيَمَ أَكَلَتْ ثَمَرَ النَّخْلَةِ حِينَ مَخَاضِهَا، وَأَنَّ عِيسَى أَكَلَ مَعَ الْحَوَارِيِّينَ يَوْمَ الْفِصْحِ خُبْزًا[٦]، ومعنى الآية الكريمة: أنَّ عيسى ومريم (عليهما السلام) كانا يتغديان كما يتغذَّى البشر، ومن كان هكذا فليس بإله؛ لأن الإله لا يحتاج إلى شيء[٧]. وفي التركيب ما يلزم عنه من إخراج الفضلات، وهو أمرٌ يمجُّ الطبع السليم ذكره، وتستهجن الآذان سمعه، فقد عدل عنه إلى ملزومه وهو أكل الطعام (٨). وفي التركيب تنبيه على سمة الحدوث، وتبعيد عما اعتقده النصارى فيهما في الإلهية؛ لأنَّ من احتاج الى الطعام وما يتبعه من العوارض لم يكن الا جسما مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وغير ذلك، وهو ما يدل على مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام[٩]. وفي التركيب رد على

(١) ينظر: بحر العلوم:٤٣٢/١، والهداية إلى بلوغ النهاية:١٨١٦/٣، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون:٣٧٨/٤.
(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٩٦/٤.
(٣) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد:٢١٣/٢، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٣٠.
(٤) ينظر: غريب القرآن، ابن قتيبة:١٤٥.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٢٥٩/٢.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير:٢٨٦/٦.
(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: :١٨١٦/٣.
(٨) ينظر: دراسات في علوم القرآن:٣٣٦.
(٩) ينظر: الحر المحيط:٥٤٥/٣.

النصارى في اعتقادهم الكريه، ودأب الاسلوب القرآني هو العدول عن الظاهر كناية عما يستهجن التصريح به، ولعيسى (عليه السلام) خصوصية بأنه رسول من رسل الله وبهذه الخصوصية امتاز هو واخوته الرسل، وأما أمه فهي صديقة من فضليات النساء، فهما فردان من أفراد المخلوقات، حقيقتهما الشخصية والنوعية مساوية لحقيقة غيرهما من الإفراد ونوعيهما فهما يفتقران إلى ما يقيم بنيتها ويمد حياتهما لئلا ينحل بدنها وتضعف قواهما، وتكرار فعل الأمر في الآية الكريمة آت من اختلاف المتعلق الأول: آيات بينات لا يقع معها لبس منها قوله تعالى:﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الانعام:١٤] والثاني : انصرافهم (أنى يصرفون) إذ فيه صرف الشيء عن وجهه ، قلب الواقع إذ صرفوا عقلهم عن ادراك الحقيقة فهم انصرفوا عن المنطق الواقعي الناصع لا يجادل فيها انسان يغفل.

والملمع الدلالي المميز لتركيب (كانا يأكلان الطعام) دلالته على الحدوث وتبعيد عما اعتقده النصارى فثمة اشتراك لفظي، حيث يدل على التبرز والتبول أو على بشرية عيسى ومريم عليهما السلام، وفي التركيب تحول دلالي من مجال الأكل الى مجال قضاء الحاجة وهذا يدل على بشرية عيسى وأمه عليهما السلام.

وبعد كل ما قيل: نُقل عن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بأن (كان يأكلان الطعام) كلام على ظاهره ويكنى في الدلالة على عدم الإلهية نفس أكل الطعام؛ لأن الإله لا يحتاج شيء يأكله؛ ولأنه كما لا يجوز أن يكون المعبود محدثاً[١].

ب/ جاء أحد منكم من الغائط:

قال ابن فارس: ((الْغَيْنُ وَالْوَاوُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى اطْمِئْنَانٍ وَغَوْرٍ. مِنْ ذَلِكَ الْغَائِطُ: الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الأَرْضِ، وَالْجَمْعُ غِيطَانٌ وَأَغْوَاطٌ. وَغُوطَةُ دِمَشْقَ يُقَالُ إِنَّهَا مِنْ هَذَا، كَأَنَّهَا أَرْضٌ مُنْخَفِضَةٌ))[٢]، وأصل الغائط البطن من الأرض الواسع، وكان الرجل إذا أراد أن يقضي حاجته قيل: قد أتى الغائط[٣]، وهو المطمَئِن من الأرض وهذا تحسين للفظ؛ لأنَّ الله جلّ ثناؤه كريم يكُنِي[٤]، ثم أُطلق على الخارج المستقذر مِن مِن الإنْسَانِ[٥]؛ ((كَرَاهَةَ لِتَسْمِيَتِهِ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ فِي الْمَوَاضِعِ الْمُطْمَئِنَّةِ فَهُوَ مِنْ مَجَازِ الْمُجَاوَرَةِ ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ حَتَّى اشْتَقُّوا مِنْهُ وَقَالُوا: تَغَوَّطَ الإِنْسَانُ))[٦]، وموضعِ الغائِطِ يقال له:

(١) ينظر: البرهان في البرهان في علوم القرآن:٢/٣٠٤-٣٠٥.
(٢) مقاييس اللغة:٤/٤٠٢.
(٣) ينظر: إصلاح المنطق:٢٢٤-٢٢٥، ومعجم اللغة العربية المعاصرة:٢/١٦٥١.
(٤) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:٢٠١.
(٥) ينظر: التعاريف:٥٣٣.
(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:٢/٤٥٧، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف:٢٥٠.

الخلاءُ والمَذْهَبُ والمِرْفَقُ والمِرْحاضُ[1]. والسبب في قصد العرب هذا الصنف من المواضع لقضاء حاجتها تسترا عن أعين الناس[2].

ورد هذا التعبير مرتين في القرآن الكريم في سياق الآيتين اللتين تتحدثان عن الوضوء والغسل والتيمم والصلاة وقضاء الحاجة، إذ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴾ [النساء:٤٣] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة:٦]

قال الطبري: ((الغائط: ما اتسع من الأودية وتصوَّب، وجُعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان؛ لأنَّ العرب كانت تختار قضاءَ حاجتها في الغِيطان، فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك، فقيل لكل من قضى حاجته التي كانت تقضي في الغِيطان، حيثُ قضاها من الأرض: مُتَغَوِّط، وجاء فلان من الغائط، يعني به: قضى حاجته التي كانت تقضى في الغائط من الأرض))[3]. ويرى السمرقندي أنَّ الغائط في اللغة اسم المكان المطمئن من الأرض، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة[4]، ((ثُمَّ صَارَ لَفْظُ الْغَائِطِ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً فِي الْحَدَثِ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ))[5]، وجمع الغائط غيطان والفعل منه (غاط يغوط) ، وتغوّط يتغوّط، إذا أتى الغائط، وكانوا وكانوا يتبرّزون هناك فكنّى عن الحديث بالغائط مثل العذرة والحدث، وهو في هذا الموضع كناية عن حاجة البطن[6]، وإنما سُمِّيَ الْحَدَثُ بِهَذَا الاسْمِ تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِاسْمِ مَكَانِهِ[7]، وفي هذا تجوُّز بإطلاق المحل على الحال فيه. وغاط الرجل في الأرض يغوط إذا غاب فيها[8]، كي لا يَظْهَرَ إلا لِمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ[1]، وجاء ذكر

(١) ينظر: الفرق، لثابت بن أبي ثابت اللغوي:٤٠.
(٢) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية:٥/٣.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن:٣٨٨/٨، وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم:٩٦١/٣.
(٤) ينظر: بحر العلوم:٣٠٥/١، وزاد المسير في علم التفسير:٤١١/١، ووظيفة الصورة الفنية في القرآن:١٠٩.
(٥) تفسير المنار:٩٦/٥.
(٦) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٣١٤/٣.
(٧) ينظر: مفاتيح الغيب:٨٩/١٠، ومحاسن التأويل:١٢٢/٣.
(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٢٢٠/٥.

ذكر (أَحَدٌ) دون غيره إيماء إلى أن الإنسان ينفرد عند قضاء الحاجة كما هو دأبه وأدبه، وقيل: إنما ذكر وأسند المجيء إليه دون المخاطبين تفاديا عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحى منه أو يستهجن التصريح به[٢].

ومعنى الآية الكريمة التي في سورة المائدة: إن كنتم أيها المؤمنون في حالة مرض أو على سفر أو كنتم محدثين أو لامستم النساء فلم تجدوا في تلك الأحوال ما تستعملونه لطهارتكم، أو وجدتم ماء وإلا أنه منعكم مانع من استعماله، فتيمموا صعيدا طيبا، بدلا من الماء، فان الله (ﷻ) ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ[٣].

وقضاء الحاجة شهوة من الشهوات، وجرياً على العادة كأن من يريده يذهب الى مكان منخفض ليواري شخصه عن أعين الناس حياء، وقضاء الحاجة من بول وغائط ((صارت حقيقة شرعية من هذا الحدث، وعرفية في الرجيع الذي يخرج من الدبر))[٤]، وفي جاء احدكم من الغائط زيادة في أدب الخطاب ولطف الكتابة، ليكون هذا الادب نموذجاً للبشر حين يتخاطبون[٥]، وفيه رغبة في التستر ولكثرة الاستعمال فصار بمنزلة التصريح، وبما أنَّ ذكر التبرز والتبول فيه ابتذال للفظ عدل الاسلوب القرآني من الاسم الصريح إلى ما هو وار مورده.

وبما أن الغائط المكان المنخفض من الارض في الاصل واستعمل القضاء الحاجة؛ لذا سمي الحدث الخارج من الانسان غائطاً توسعاً وفي هذا تعميم للدلالة.

وهناك تقارب دلالي بين التركيبين (كانا يأكلان الطعام) و (جاء أحدكم من الغائط) الدالان على قضاء الحاجة إلا أن بينهما فارقا إذ التركيب الأول السياق فيه عن الحديث عن عيسى وأمه عليهما السلام الدليل حديث خاص في المقام الاول وفيه رد على اعتقاد النصارى الكريه الباطل وفيه تشنيع وبشاعة على من اتخذها آلهة، ومن اجل ذلك روعي وقارهما وتحشمها، وأما التركيب الثاني في فلم يأتِ وصفاً لإنسان معين بل هو حديث عام يشمل المكلفين كافة، وذكر التبرز والتبول يستهجن التصريح بهما.

المحور الثالث: الحرث والزراعة:

قال ابن فارس: ((الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالثَّاءُ أَصْلانِ مُتَفَاوِتَانِ: أَحَدُهُمَا الْجَمْعُ وَالْكَسْبُ، وَالآخَرُ أَنْ يُهْزَلَ الشَّيْءُ. فَالأَوَّلُ الْحَرْثُ، وَهُوَ الْكَسْبُ وَالْجَمْعُ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ حَارِثًا... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَرْثُ الزَّرْعِ))[٦]. والاحتِراث

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير:٦٤٢/٣.
(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:٤١/٣.
(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:١٦٠/٣.
(٤) تفسير المنار:٢٠٩/٦.
(٥) ينظر: في ظلال القرآن:٦٧١/٢.
(٦) مقاييس اللغة:٤٩/٢.

من الزَّرْع، وهو قَذفُ الحَبُّ فِي الأَرْض للازْدِرَاعِ [١]، وحرث الأرض يحرُثها حرثاً، أي: أصلحها للزرع[٢]، وحرثت الخيل الأرض، أي: داستها حتى صارت كالمحروثة[٣]. ((والمرأة حرثُ الزوج؛ لأنها مزدرعُ ولده))[٤]، وهذا على سبيل التشبيه؛ لأنَّ بالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان، كما أنّ بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم[٥]. فالمعنيان متقاربان.

وقيل: الحرث الزرع[٦]، وقيل: هو الكسب[٧]، وقيل: هو المتاع[٨]، وقيل الحرث: الثواب[٩].

والبادي أن سبب هذا الاختلاف في تعيين معنى (الحرث) راجع إلى السياق، فللسياق دور في تحديد معنى اللفظ، والاصل في الحرث والحراثة العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً، وقد يقال لأول البذر أو الغرس الى حيث بلغ حرثاً.

وورد في الذكر الحكيم (الحرث) معرف بـ (ال) في خمسة مواضع [البقرة: ٧١–٢٠٥] و[آل عمران:١٤] و[الانعام:١٢٦] و[الانبياء:٧٨]، وورد بدون (ال) (حرث) في ثلاثة مواضع [البقرة:٢٣٢] و[آل عمران:١٧] و[الشورى:٢٠]، وورد مضافاً في ثلاثة مواضع (حرثكم) [البقرة:٢٢٣] و[القلم:٢٢] و (حرثه) في [الشورى:٢٠] وربما وروده معرفاً بـ (ال) هو جعله الشيء معين صفة غلبت عليه.

وذهب أصحاب الوجوه والنظائر أن (الحرث) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه وهي[١٠]:

١– الحرث بعينه.

٢– الثواب.

٣– فروج النساء.

فقولهم (الحرث): الثواب أو فروج النساء من باب التوسع في الكلام. وكذلك ذكر أهل اللغة أن الحرث هو الكسب أو المتاع ايضاً توسع في الكلام وتسميتهم الحرث: الزرع توسع في الكلام على اعتبار لما يحصل منه، والزرع أعم، وقد يقال لمن طرح البذر زرع، قال تعالى على لسان يوسف (عليه السلام) ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ

(١) ينظر: العين:٣/٢٠٥، وتهذيب اللغة:٤/٢٧٥.

(٢) ينظر: الاشتقاق:٤٤، والمغرب في ترتيب المعرب:١٠٩.

(٣) ينظر: أساس البلاغة:١/١٧٨.

(٤) مجمل اللغة:٢٣٠، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم:٣/٢٩٦، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:٣/١٣٨٣، والذريعة إلى مكارم الشريعة:١١١.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٢٢٦.

(٦) ينظر: معجم ديوان الادب: ٢/١٠٢، والصحاح:١/٢٧٩، ومجمل اللغة:١/٢٤٢، ولسان العرب:٢/١٣٤.

(٧) ينظر: تهذيب اللغة:٤/٢٧٦، والمحكم:٢/٢٩٦، والمخصص:٢/٤٤٥.

(٨) ينظر: المخصص:٣/٤٥٥، ولسان العرب:٢/١٣٥، وتاج العرووس:٥/٢٢٠.

(٩) ينظر: شمر العلوم: ٢/١٣٨٤، ولسان العرب:٢٠/١٣٥، وتاج العروس:٥/٢٢٠.

(١٠) ينظر: الوجوه والنظائر، مقاتل:١٥٧، والوجوه والنظائر، هارون:٢٣١، والوجوه والنظائر للدامغاني:١٦٦، ومنتخب قرة الاعين:٩١-٩٢.

﴿دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ [يوسف:٤٧] والحرث متصل بالزرع فالحرث أوائل الزرع والزرع أواخر الحرث، فيجوز إطلاق أحد هما على الآخر(١).

وأما الزراعة فقال ابن فارس: ((الزَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَنْمِيَةِ الشَّيْءِ. فَالزَّرْعُ مَعْرُوفٌ، وَمَكَانُهُ الْمُزْدَرَعُ))(٢)، والزَّرْع كما ذكر الخليل: نبات البُرّ والشعير. الناس يحرثونه والله يَزْرَعُه، أي: ينميه حتى يبلغ يبلغ غايته وتمامه(٣)، ويرى ابن دريد أنَّ الزَّرْع: كل مَا زرعته من نبت أَو بقل زرعتُ أزرَع زرعا، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى قَالُوا: زرع الله الصبيَّ، أَي: أنماه(٤)، والزَّرْعُ نَبَاتُ كُلِّ شَيْءٍ يحرث إلا أنه قد غلب على الْبر وَالشعِير(٥)، والزرع الإنباتُ. يقال: زَرَعُهُ الله، أي: أنبته(٦)، والزَّرَّاعةُ: الأَرض الَّتِي تُزْرَعُ. والمُزْدَرِعُ: الَّذِي يَزْدَرِعُ زَرْعاً يَتَخَصَّصُ بِهِ لِنَفْسِهِ (٧)، ((وَالزَّرْعُ مَا اسْتُنْبِتَ بِالْبَذْرِ تَسْمِيَةً بِالْمَصْدَرِ وَمِنْهُ يُقَالُ حَصَدْتُ الزَّرْعَ، أَيْ: النَّبَاتَ قَالَ بَعْضُهُمْ وَلَا يُسَمَّى زَرْعًا إلا وَهُوَ غَضٌّ طَرِيٌّ))(٨).

والفرق بين الحرث والزرع: أن الحرث: بذر الحب من الطعام في الارض، والزرع: نبته نباتا إلى أن يبلغ. ويُسند الحرث إلى العباد، والزرع إلى الله (ﷻ) وفي الحديث عن النبي (ﷺ) أنه قال: "**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: حَرَثْتُ**"(٩)، وهو يرشد إلى ما ذُكر ولم يفرق أهل اللغة بين الحرث والزرع(١٠).

وقد ورد في القرآن الكريم فعلان يدلان على الحرث والزراعة هما (تحرثون، وتزرعون) في آيتين كريمتين، جاء في سياقهما كراهة نسب الزراعة إلى الإنسان؛ لأنَّ الله هو الذي يزع النبات وينميه، أما الإنسان فيحرث فقط، وذلك بأن يهيئ الأرض للزراعة بوضع الحب فيها، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾ [الواقعة:٦٣-٧٠]

في الآيات الكريمة إِشَارَةٌ إِلَى دَلِيلِ الرِّزْقِ وَبِهِ الْبَقَاءُ، فذَكَرَ الْمَأْكُولُ، وذَكَرَ مِنَ الْمَأْكُولِ الْحَبَّ؛ لأَنَّهُ هُوَ الأَصْلُ، وْفَرْقُ الرازي بَيْنَ الْحَرْثِ وَالزَّرْعِ حيث ذكر أَنَّ الْحَرْثَ أَوَائِلُ الزَّرْعِ وَمُقَدِّمَاتُهُ، مِنْ كِرَابِ الأَرْضِ، وَإِلْقَاءِ الْبَذْرِ، وَسَقْيِ الْمَبْذُورِ، وَالزَّرْعُ هُوَ آخِرُ الْحَرْثِ مِنْ خُرُوجِ النَّبَاتِ وَاسْتِغْلاظِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى السَّاقِ، وَلا

(١) ينظر: مفاتيح الغيب:٤٢٠/٢٩.
(٢) مقاييس اللغة:٥٠/٣.
(٣) ينظر: العين:٣٥٣/١، وتهذيب اللغة:٧٩/٢.
(٤) ينظر: جمهرة اللغة:٧٠٥/٢، والقاموس المحيط:٧٢٤.
(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم:٥١٨/١، ولسان العرب:١٤١/٨، وتاج العروس:١٤٦/٢١.
(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:١٢٢٥/٣.
(٧) ينظر: لسان العرب:١٤١/٨.
(٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:١٥٢/١.
(٩) المعجم الأوسط، للطبراني:٨٠/٨، رقم:٨٠٢٤، والسنن الكبرى، للبيهقي:٢٢٨/٦، رقم:١١٧٥٢.
(١٠) ينظر: الفروق اللغوية:١٨١.

يَشُكُّ أَحَدٌ فِي أَنَّ إِيجَادَ الْحَبِّ فِي السُّنْبُلَةِ لَيْسَ بِفِعْلِ النَّاسِ، وَلَيْسَ بِفِعْلِهِمْ إِنْ كَانَ سِوَى إِلْقَاءِ الْبَذْرِ وَالسَّقْيِ، أما الزارع فهو الله (ﷻ)[1]، فالحرث فِعْلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم[2]، فالحرث: شق الأرض من أجل زراعتها، والمراد به في هذا الموضع: وضع البذر فيها بعد حرثها. فالآية تستفهم عن البذور التي تلقون بها في الأرض بعد حرثها، أأنتم الذين تنبتونها وتصيرونها زرعا بهيجا نضرا أم نحن الذين نفعل ذلك؟ لا شك أنا نحن الذين نصير هذه البذور زروعا ونباتا يانعا[3].

والحاصل ان الحرث فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل في الحرث، والزرع خالص فعل الله فان إنبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد أصلا. وإذا نسب الزرع الى العبد فلكونه فاعلا للأسباب التي هي سبب الزرع، واضافة الحرث إلى البشر اضافة الاكتساب وإضافته الى نفسه (ﷻ) اضافة الخلق والاختراع[4].

فهَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَضَمَّنَتْ بُرْهَانًا قَاطِعًا عَلَى الْبَعْثِ وَامْتِنَانًا عَظِيمًا عَلَى الْخَلْقِ بِخَلْقِ أَرْزَاقِهِمْ لَهُمْ، فالْبَذْرَ الَّذِي تَجْعَلُونَهُ فِي الأَرْضِ بَعْدَ حَرْثِهَا، أَيْ: تَحْرِيكِهَا وَتَسْوِيَتِهَا أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَيْ تَجْعَلُونَهُ زَرْعًا، ثُمَّ تُنَمُّونَهُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ مُدْرَكًا صَالِحًا لِلأَكْلِ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَهُ، وَلا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ أَنْ يُقَالَ: أَنْتَ يَا رَبَّنَا الزَّارِعُ الْمُنْبِتُ، وَنَحْنُ لا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى ذَلِكَ فَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ مَنْ أَنْبَتَ هَذَا السُّنْبُلَ مِنْ هَذَا الْبَذْرِ الَّذِي تَعَفَّنَ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ. وَكَوْنُ إِنْبَاتِ النَّبَاتِ بَعْدَ عَدَمِهِ مِنْ بَرَاهِينِ الْبَعْثِ[5].

فالزَّرْعُ: الإنبات، وحقيقته تكون بالأمور الإلهيّة دون البشريّة فالله (ﷻ) نسب الحرث إليهم، ونفى عنهم الزَّرْعَ ونسبه إلى نفسه[6].

فإن قيل: ما الحكمة من قوله تعالى ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: من الآية٢٩] قيل: ((يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَارِثَ إِذَا كَانَ هُوَ المبتدي، فَرُبَّمَا يَتَعَجَّبُ بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى فِعْلِهِ مِنْ خُرُوجِ النَّبَاتِ وَالزَّارِعُ لَمَّا كَانَ هُوَ الْمُنْتَهِيَ، وَلا يُعْجِبُهُ إِلا شَيْءٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ: يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ الَّذِينَ تَعَوَّدُوا أَخْذَ الْحِرَاثِ، فَمَا ظَنُّكَ بِإِعْجَابِهِ الْحُرَّاثَ))[7].

ونلحظ في الآيات الكريمة دخول اللام في (جعلناه) في آية المطعوم وعدم دخولها في آية المشروب (جعلناه)، لأن اللام مفيدة للتأكيد ويكثر اقتران جواب (لو) بهذه اللام إذا كان ماضياً مثبتاً، كما يكثر تجرده عنها كما في آية المشروب[1].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب:٤٢٠/٢٩.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٢١٨/١٧.
(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:١٧٧/١٤.
(٤) ينظر: روح البيان:٣٣٢/٩.
(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٥٣١/٧.
(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٣٧٩.
(٧) مفاتيح الغيب:٤٢٠/٢٩.

ويمكن القول إن آية المطعوم للإنسان دور فيه حيث يهيئ الأرض يبذر ويسقي وقد يظن انه قادر عليه، وأن آية المشروب لا دخل لأحد فيها لأن إنزال الماء من اختصاص الرب وهو من الغبيات الكبرى ولهذا أتى جعلناه بدون لام (جعلناه) أي ما كان للإنسان دور فيه احتاج الى لام التوكيد، وما ليس للإنسان دور فيه خلا من لام التأكيد.

النتائج

بعد الانتهاء من هذه الرحلة العلمية – بفضل الله ومَنِّه – توصلنا إلى نتائج عدة نذكر أهمها دون ذكر الجزئيات؛ لأنها موجودة في أثناء البحث.

١– بين البحث أنَّ التطابق في المعنى بين تركيبي (يغتب بعضكم بعضاً) و(يأكل لحم أخيه ميتاً) في دلالتها على الغيبة ليس بتطابق تام. وإن كان التركيبان يدلان على شيء واحد فتركيب (يغتب بعضكم بعضاً) يتميز بذكر الرجل بسوء في غيابه، وفي تركيب (يأكل كم أخيه ميتاً) فيه تصوير لشناعة المغتاب الذي صار كمن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فالتركيب يجعلك تنفر من الغيبة؛ لأنها قبيحة من القبائح. وما يميز هذا التركيب التركيز على الحرمة والقبح وقد صُورا في صورة منفرة من الغيبة، فليس بين التركيين تطابق تام.

٢– ثمة تحول دلالي في تركيب (حمالة الحطب) من المعنى الحسي المجرد حمل الحطب إلى المعنى المعنوي السَير بالنميمة بين الناس.

٣– كشف البحث عن التقارب الدلالي بين تركيب (حمالة الحطب) ولفظ (مشاء بنميم) إذ يدل كلاهما على الفساد والسير بالنميمة بين الناس والفارق بينهما أنَّ مشاء بنميم يدل على كثرة النميمة بين الناس للإفساد بينهم، وتركيب (حمالة الحطب) يرتكز على ملمح الإفساد بين الناس، وتركيب خاص بشأن امرأة أبي لهب إذ كانت تمشي بالنميمة.

٤– ورد في الذكر الحكيم تركيبان (يأكل الطعام) [الفرقان:٧] و(يأكلون الطعام) [الفرقان:٢٠] يدلان على المعنى الحقيقي لأكل الطعام أما الوصف الذي جاء به الذكر الحكيم لعيسى وأمه (عليهما السلام) يأكلان الطعام لا يدل على المعنى الحقيقي وبه تحول دلالي؛ لانَّ هناك من رأى وآمن من النصارى بأنهما إله وهذا يدخل ضمن الشرك الأكبر، أما في التركيبين لم يدَّعِ أحد بأنَّ الأنبياء إله ولهذا جاء التركيبان على الحقيقة.

٥– أوضح البحث أنَّ الحكمة في ارشاد الله (ﷻ) لنا في استعمال تركيب (انظرنا) بدل لفظ (راعنا) لأنه أعدل وأصوب في القول، وتركيب (انظرنا) دال على معنى لا احتمال فيه، وفيه من الأدب والفائدة وحسن العاقبة على عكس تركيب (راعنا) الذي فيه أكثر من احتمال، وكذلك في تركيب (انظرنا) تنبيه وإرشاد إلى الأدب الجميل، وهو أن يتجنب الإنسان في مخاطباته الألفاظ التي توهم جفاء أو تنقيصا في مقام يقتضي إظهار مودة أو تعظيم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير:٣٢١/٢٧.

٦- حدث توسع للدلالة في استعمال تركيب (جاء أحد منكم من الغائط) إذ الأصل فيه المكان المنخفض من الأرض، ثم استعمل لقضاء الحاجة، وكذلك فيه عدول عن الاسم الصريح للتبرز والتبول إلى ما هو وارد مورده.

٧- جلَّى البحث أنَّ الحرث فعل الانسان من حيث ان اختيارهم له مدخل في الحرث، أمَّا الزرع خالص فعل الله فان إنبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد أصلا. وإذا نسب الزرع الى العبد فلكونه فاعلا للأسباب التي هي سبب الزرع، واضافة الحرث إلى البشر اضافة الاكتساب وإضافته الى نفسه (ﷻ) اضافة الخلق والاختراع

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٣. إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣ هـ , ٢٠٠٢م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٦. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الفكر، بيروت تحقيق: د. محمود مطرجي، (د. ت).

٧. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي د. أحمد النجولي الجمل، قرظه: د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مطبعة الكويت، ١٣٥٨هـ -١٩٦٥م.

١٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٠هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١١. التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.
١٢. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت٢٨٣هـ)، جمعه: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٣. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٤. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني، (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر ابن إبراهيم، غنيم عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٥. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، (د. ت).
١٧. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ.
١٨. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، (ت١٠٢هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ–١٩٨٩م.
١٩. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
٢٠. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بـ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.
٢١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٢٢. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، (ت٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
٢٣. الجامع لأحكام القرآن: أبو بكر محمد بن أحمد بن القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٣م.
٢٤. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن دريد، (ت٣٢١)، تحقيق وتقديم: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٥. الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د. ط)، (د. ت).
٢٧. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر اسماعيل (ت١٤٢٦هـ) دار المنار ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٢٨. الذريعة في أصول الشريعة، أبو القاسم علي بن الحسين (الشريف المرتضى) تحقيق: أبو القاسم كرجي، مطبعة عقدة دانشه كاه، طهران، ١٣٤٨هـ.
٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
٣١. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ
٣٢. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، (ت٣٢٨هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، اعتنى به، عز الدين البدوي النجار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
٣٣. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٣٤. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.
٣٥. شعر المقنع الكندي، جمع وتحقيق ودراسة/ أ. د. أحمد سامي زكي منصور/ مصر، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٣٦. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: اللغوي الإخباري القاضي العلامة نشوان بن سعيد الحميري، (ت٥٣٧هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٣٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، وضع حواشيه: احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٣٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت،١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
٣٩. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشَيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

٤٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
٤١. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (د. ت).
٤٢. غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٤٣. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية/١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.
٤٤. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريَّة للطباعة والنّشْر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤٥. الفرق في اللغة، أبو محمد المستنير المعروف بقطرب (ت٢١٠هـ)، حققه: الدكتور خليل إبراهيم العطية، راجعه الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧م.
٤٦. الفرق، أبو محمد ثابت بن أبي ثابت اللغوي (ت: ق ١٣هـ)، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٤٧. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم الثقافة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٨. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٦، ١٤١٢هـ.
٤٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
٥١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٥٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٣. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت لبنان، ط١، (د. ت)
٥٤. مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٥. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٥٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٥٨. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن عيسى بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس احمد بن علي المقري الفيومي، (ت٧٧٠هـ)، اعتنى به: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة دار المؤيد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٦٠. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٦١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل عالم الكتب ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٦٢. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة، (د.ت).
٦٣. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي، (ت٣٥٠هـ) تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٤. المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، (د. ط)، (د.ت).
٦٥. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٦٦. مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٥، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.
٦٧. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٦٨. منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، عبد الرحمن بن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد السيد الصطاوي، وفؤاد عبد المنعم، الاسكندرية، (د. ت).

٦٩. المنجَّد في اللغة، (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي): أبو الحسن علي بن الهُنائي الأزدي الملقب بـ(كراع النمل)، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، عالم الكتاب القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك مجد الدين بن محمد الجزري بن الأثير، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
٧١. الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد حَمّوش بن مختار القيسي، (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧٢. الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مقاتل بن سليمان البلخي، (ت١٥٠هـ)، تحقيق: الاستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، العراق بغداد، ط١، ١٤٠٧هـ-٢٠٠٦م.
٧٣. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، عن هارون بن موسى، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والاعلام، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
٧٤. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، أبو عبد الله الحسن بن محمد الدامغاني، (ت٤٧٨هـ)، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٧٥. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٧٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، (د. ط)، (د. ت).
٧٧. وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.